هرمو بوليس مدينة الحج

- ٢ -

للأستاذ فوزى الشتوى

[انتهينا في المرة الماضية عند وصف سراديب التحنيط ونختم فى هذا المقال بوصف بعض الآثار الأخرى]

مبانينا لم تتغير

وإلى جوار السور معبد حاكم المنطقة الدينى بوتوزوريس وهو معبد ضخم تبدو نقوشه بالألوان الطبيعية والصور المنحوتة فى الأحجار فترى فى تقاطيع أصحابها سمات المصريين ، وسمات السوريين والصينيين . ترى فيها تعابير الحزن كما ترى فيها علامات الفرح . وتدرك من نظرات أصحابها ما تم عليه من إعجاب أو ازدراء ، فعلى حوائط هذا المعبد سجلت صور الحياة المصرية فى مراحلها المختلفة .

فهنا لوحة أو لوحات تمثل الفلاح يزرع أرضه من حرث وسقى وإنبات ثم حصد وتذرية ، وفى لوحة ثانية ترى الصانع يحتضن أدواته ويحركها فى خزفه أو نحاسه ليخرج منها تلك الأوانى التى تشاهدها فى دار الآثار ، أوان أردتها حية مجسمة تجدها فى خان الخليلى ، فصناعه وأدواتهم وطرقهم يتبعون طرق اسلافهم ونادراً ما تجد أداة تغيرت ولكن ما تغير هو مرور تلك الحقبة من الزمن

ونظرة دقيقة إلى تلك اللوحات وما شملت ، ثم نظرة أخرى إلى تلك البقعة وما تبين توضح لك أننا لا نزال نعيش على حساب تلك العقول ، فهناك ترى صحاف النحاس تنقش ثبتت على قواعد من القار فترى منها نسخة أخرى فى خان الخليلى .

وما قيل عن صناع الصحاف النحاسية ينطبق على النجارين والخراطين وصناع الفخار . تراهم كلهم منهمكين فى عملهم فى تلك الاوضاع المختلفة التى لم يترك منها الفنان تعبيراً إلا نجح فى آدائه وإجادته طبقاً للحقيقة الحية .

كاهن ورع

وهكذا خصص من كل من حوائط المعبد واحدة أفردت الأولى للزراعة وبينت الثانية نواحى الصناعة وعرضت الثالثة لحياة الكاهن وموته . وعلى هذا الحائط تظهر عظمة صاحب المعبد . فهو لم يكن كاهنا عاديا ، رجلا تقياً ورعا يحج إليه الناس من كل مكان فيأتيه اليونانيون والرومانيون ليحصلوا على بركته وليعبروا له عن إعجابهم بسجاياه ، يمتدحون جليل أعماله ، ويطنبون فى حسن معاملته لأعوانه .

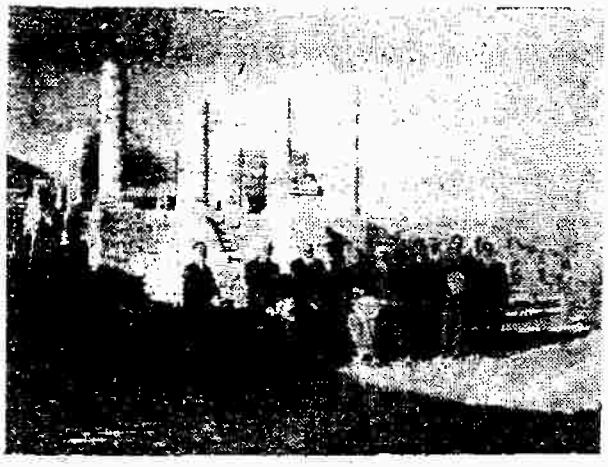

(شكل ١)

لفت حفريات الدكتور سامى جبرة فى تونه الجبل نظر علماء الآثار فى العالم ويرى فى الصورة وهو فى وسط الصف منهم

ومن الظواهر الجديرة بالتسجيل على ذلك الحائط منظر أولاده الأربعة وبناته السبع وقد احتلوا أماكنهم فى صف واحد مرتبين تبعاً لأعمارهم فلا يسبق الغلام الفتاة ولا الفتاة الغلام . ففى المقدمة الإبن الأكبر وفى النهاية الإبن الأصغر وإنك لتلحظ فيهم اختلاف التقاطيع وتشابهها كما تلحظه فى أبناء أية أسرة . وإنك لترى فى تلوين البشرة سمارها فى الذكور وبياضها فى الفتيات ، كما تلمس أباراة الرجولة فى الشبان وعلامات النعومة فى الفتيات وإن امتياز الجميع بقاماتهم الفارعة الممشوقة .

ومات الكاهن الورع ، فقدمت الوفود من كل مكان . وسار الكهنة فى موكب جنازته يسحبون العربة التى تحمل جثته وترفرف فوق رؤوسهم أعلام بلادهم ، فهم لم يأتوا كأفراد فحسب ، بل قدموا كممثلين لبلادهم وليعبروا عن مكانة الرجل فى ديارهم .

يوم الحساب

والموت فى عرف المصريين القدماء مواصلة الحياة ولكن فى الدنيا الآخرة أو عالم الخلود . وليس الوصول اليه من الأمور الهينة فى طريقه حساب عسير لا يكتفى فيه بالمظاهر بل يوزن فيهُ قلب الإنسان وسمعت خيره وشره .

فإذا انتقلنا إلى الحائط الأخير وجدنا روح الميت بين أيدى الآلهة تقدم حسابها فتذكر أربعين سيئة لم يعملها الميت فى حياته ثم يترافع أمام مجمعهم مبيناً حقه فى الحياة الأبدية . إلا أن الآلهة لا تؤخذ بالأقوال فيزنون ما فى قلبه من شر . فان وازن ريشة «معان» إلهة العدل أدخل الجنة . وإن زاد عنها ألقى إلى حيوان ضخم يلتهمه ثم يندفع به فى حياة الظلمة .

ويربط هذا المعبد بين الفن المصرى والفن اليونانى . فهو مصرى فى جميع نقوشه وتفاصيله إذا استثنينا طريقة الدفن . فالمتبع فى المقابر المصرية أن يكون مرقد الميت إلى اليمين . فكان فى هذا المعبد فى بئر عميقة فى وسطه طبقاً لطقوس ذلك العصر . وفى سقف المعبد فوق البئر فتحة صغيرة لوحظ أن الشمس تسقط منها إلى أسفل البئر فتضيء المكان وتبارك صاحبه فى وقت الظهر من شهر بؤونة .

فى التصوير القصصى

وتمثل الحفريات الأخرى كثيراً من الفنون اليونانية . ونجد فيها أول مراحل فن التصوير القصصى . ففى أحد المنازل ، ويظهر أن صاحبه كان من رجال العلم ، صور الفنان قصتى أوديب الملك والكترا . ففى الأول يبين الرسم ذلك الحيوان الضخم وهو يسأل أوديب عن الشيء الذى يسير على أربع فى الصباح ، وعلى اثنين فى الظهر وعلى ثلاث فى المساء .

ويجيبه أوديب بأنه الإنسان عند ما يحبو طفلا ، وعند ما يمشى رجلا ، وعند ما يتوكا على عصاه شيخاً . ولأهمية هذه الصورة نقلت إلى متحف الآثار واستبدلت فى مكانها نسخة حديثة الصنع .

وعلى حائط آخر مثل الفنان أخلاق الرجل والمرأة فرسم الأول على شكل ديك هادىء وديع ، وصور المرأة على شكل هرة ثائرة متحفزة للشر .

(شكل ٢)

قصة أوديب الملك كما صورها الرسام فى مراحلها المختلفة

ومدينة الحج بعيدة عن موارد الماء . ولهذا احتاج إمدادها به إلى بناء ساقية تدل على رقى فن الهندسة . يبلغ عمقها ٣٤ متراً حتى يصل عمقها إلى مستوى ماء بحر يوسف . وهى مبنية على درجتين : عمق الأولى ٢٠ متراً ، وعمق الثانية ١٤ متراً يرفع منها الماء بالطرق المعروفة عندنا ليخزن على سطح الأرض فيأخذ منه السكان حاجتهم ويستقى منها الطير . ثم يتسرب ما يفيض ليروى أشجار الدوم التى كانت مزروعة حولها .

والمنطقة عامرة بكثير من الآثار التى تربط بين مختلف العصور المصرية ، ففيها معبد وجدت فى بعض أنحائه بعض أدوات يظن بعض المشتغلين بالآثار أنها من العهد المسيحى ويرى أنها من أدوات عماد الأطفال فى الكنائس .

والمنتظر عند ما يتم كشف هذه المنطقة ويدرس علماء الآثار محتوياتها أن تكشف لنا عن كثير من غوامض التاريخ فقد كانت المنطقة كما قلنا على جانب كبير من الأهمية الجغرافية ، وكانت فى أكثر أحوالها مقصد الناس . ونعتقد أن فائدتها لا تكمل إلا بإتمام كشف المنطقة الأخرى المعروفة الآن بالإدارة فقد وجدت هناك مبانى ضخمة تدل على عظمة وفن وروعة !؟

فوزى الشورى